

سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر 1830 - 1962

إعداد الأستاذ عبد الحكيم بن تركية

المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية بوزريعة الجزائر

من التدمير والتجهيل إلى الفرنسية والتمسيح:

تعرضت الجزائر لأشرس وأخبت استعمار استيطاني عرفه القرن التاسع العاشر، الذي مارس سياسة الأرض المحروقة منذ أن وطأت قدماه أرضها الطاهرة في جويلية من عام 1830، مستعملا كل طرائق ووسائل الاضطهاد التي توصل إليها العقل الأوربي يومئذ من اجل نهب واستغلال ثروات البلاد وخيراتها، وعمل في نفس الوقت على ربطها بالنظام الرأسمالي الفرنسي يجعلها سوقا لتصريف بضائعه ومنتجاته ومصدرا لتزويد مصانعه بالمواد الأولية، وأكثر من هذا فانه خطط وعمل منذ البداية على تشويه وتمسيخ شخصية وهوية الجزائريين بمحاربته للدين الإسلامي الحنيف واللغة العربية، وتجهيل الجزائريين بغلق مدارسهم وهدمها وحرقتها أولا ثم إدخال التعليم اللائكي الفرنسي بعد ذلك لتخريج وكلاء ووسطاء لمساعدته على تنذ سياسة الفرسة والتمسيخ.

لجأ الاستعمار الفرنسي منذ سنة 1830 والى غاية 1962 ولا يزال⁽¹⁾ إلى كل الوسائل والأساليب والطرائق من اجل أن يحقق أهدافه المتمثلة في إدماج الجزائر وجعلها جزءا لا يتجزأ من فرنسا⁽²⁾، وربطها بالنظام الرأسمالي الفرنسي، وعمل على تعميق تأخرها وتبعثها عبر إدماجها بآليات النظام الرأسمالي على المستويات الاقتصادية

والاجتماعية والثقافية⁽³⁾ من خلال نشر وترسيخ قيم وسلوكات تعمل على تغريب الإنسان وطمس معالم هويته وشخصيته التاريخية.

وقد مر هذا العمل بثلاث مراحل أساسية يمكن تقسيمها كما يلي:
المرحلة الأولى تمتد من 1830 الى 1871، المرحلة الثانية 1871 الى 1919، المرحلة الثالثة 1920 الى 1962. إن هذه المراحل الثلاثة هي التي يقصدها ألفرد رامبو⁽⁴⁾ بقوله: "لقد تم الاحتلال الأول للجزائر بقوة السلاح وانتهى عام 1871 بترع السلاح من القبائل ويتضمن الثاني قبول إدارتنا وعدالتنا من قبل أهل البلاد. أما الثالث فسيتم من خلال المدرسة ويجب أن يضمن سيطرة لغتنا على مختلف اللهجات المحلية وإدخال الفكرة التي نحملها نحن بأنفسنا عن فرنسا ودورها في العالم إلى أذهان المسلمين وذلك بإبدال الجهل والأحكام المسبقة المغالية بمفاهيم أولية للعلم الأوروبي الدقيق"⁽⁵⁾.

ففي المرحلة الأولى من الاحتلال طبق الفرنسيون وانتهجوا سياسة الأرض المحروقة ونهب الممتلكات وسياسة الإبادة والتهجير إلا أنهم في نفس الوقت كانوا يؤكدون على ضرورة إدماج الجزائر وجعلها جزءا من التراب الفرنسي بنشر الأفكار والثقافة واللغة الفرنسية لتسهيل السيطرة على البلاد وعلى رأسهم القائد دي بورمون⁽⁶⁾ القائل: "علموا لغتنا وإذا علمتم لغتنا سهل علينا حكمها وسيطرتنا". إلا أن المقاومة الشرسة التي أبدتها الجزائريون في وجه العدو الغاشم جعلتهم يعتمدون في بسط سيطرتهم على البلاد على قوة السلاح و سياسة التهجير بالقوة والإبادة كما كان يرى بيون القائل: "انه لا يمكن إخضاع الأهالي إلا بإبادتهم"⁽⁷⁾.

أما سياسة الأرض المحروقة ابلغ من عبر عنها من الفرنسيين القائد مونتياك بقوله: "ان الحشيش لا يمكنه أن ينبت أبدا من جديد على آثار الجيش الفرنسي".

لقد كانت المرحلة الأولى مرحلة تدمير شامل وكامل ومنظم استعمل فيها الفرنسيون كل الأدوات والأساليب التي توصل إليها آنذاك العقل الأوروبي من اجل تركيع الجزائريين وشل قدراتهم على المقاومة وإرغامهم على الاستسلام والخضوع والخنوع لمرامي وأهداف الاستعمار وهذا باعتراف سانت أرنو احد مساعدي بوجو بقوله: "لقد كانت حملتنا تدميرا منظما أكثر منها عملا عسكريا ونحن اليوم في جبال مليانة لا نطلق إلا قليلا من الرصاص، وإنما نمضي وقتنا في حرق جميع القرى"⁽⁸⁾.

إن التخريب والحرق والاستيلاء على ممتلكات الغير⁽⁹⁾ والتهجير⁽¹⁰⁾ والإبعاد هي الأعمال اليومية للجنود الفرنسيين وحتى المستوطنين.

إن جرائم فرنسا الوحشية⁽¹¹⁾ لم تتوقف عند إبادة قبائل بأكملها⁽¹²⁾ وحرق مداشر وقرى بمن فيها وانتزاع الأراضي من أصحابها وتهجيرهم إلى الجبال والصحاري، بل إن فرنسا حاملة شعار "أخوة، مساواة، عدالة" امتدت أيديها إلى أماكن العبادة ودور العلم فدمرت معظم هذه المؤسسات وحولت ما بقي منها إلى كنائس واصطبلات وثكنات وطاردت علمائها وعملت على تجهيل الجزائريين من أجل أن يصبحوا أداة طيعة بين أيديها وعن هذا يقول النائب الكسيس دي طوكوفيل⁽¹³⁾: "في كل مكان وضعنا أيدينا واستولينا على عائلاتها (أي عائدات الأوقاف) وحولناها جزئيا عن استخداماتها السابقة، لقد قلصنا المؤسسات الخيرية، أهملنا المدارس، شتتنا طلبة الفقه (علوم الشريعة) لقد انطفأت الأنوار حولنا. تعيين رجال الدين ورجال الشريعة توقف يعني أننا جعلنا المجتمع المسلم أكثر شقاء وبؤسا، وأكثر اضطرابا، أكثر جهلا وأكثر توحشا (بربريا) عما كان عليه قبل أن يتعرف علينا"⁽¹⁴⁾.

إن سياسة التهجير بالقوة والابادة الوحشية التي اتبعها الغزاة كانت لها عواقب وخيمة على حياة الجزائريين بانخفاض عدد السكان بعد نصف قرن من حوالي 3 ملايين نسمة عند بداية الاحتلال إلى 2.886.531 نسمة عام 1881⁽¹⁵⁾.

إن سياسة الاستعمار الفرنسي وما فعله بالجزائريين لم تحرك حتى الذين يوصفون بأصحاب الضمائر الحية والرومانسيين والإنسانيين من أمثال لمارتين⁽¹⁶⁾ وفكتور هيغو⁽¹⁷⁾ وغيرهم.

إن أكذوبة نقل الحضارة وتمدين الجزائريين التي رفعها منظروا الاستعمار لا أساس لها من الصحة فمنذ غزوهم للجزائر منذ جويلية 1830 وأوضاع الجزائريين التعليمية تتدهور كما يعترف بذلك أبنائها وهو اليكس دي طوكوفيل المشار إليه أنفا بقوله: "لقد انطفأت الأنوار حولنا".

إن سياسة التجهيل التي اتبعتها فرنسا في الجزائر بمحاربتها للغة العربية والدين الإسلامي على الخصوص لم تؤد إلا إلى انتشار الجهل والأمية والتي كانت قبل ذلك من المستحيل أن تجد بها أميا كما يؤكد ذلك الرحالة الألماني فيلهلم شيمبر الذي زار الجزائر في ديسمبر من سنة 1831 بقوله: "لقد بحثت قصدا عن عربي واحد في الجزائر

يجهل القراءة والكتابة غير أني لم اعثر عليه في حين وجدت ذلك في بلدان جنوب أوروبا" (18).

إن أكذوبة نشر العلم و التعليم الأوروبي يكذبها الكثير من الفرنسيين أنفسهم فها هو احدهم يقول في شهادته: "مما لا شك فيه أن التعليم في الجزائر خلال عام 1830 كان أكثر انتشارا وأحسن حالا مما هو عليه الآن، لقد كان هناك أكثر من ألفي مدرسة للتعليم بدرجاته المختلفة فضلا عن مئات المساجد وقد أغلق الاستعمار (الاستعمار) الفرنسي هذه المدارس بالقوة" (19).

إن سياسة التجهيل والتقتيل والتهجير والنفي للعلماء كانت عواقبها وخيمة على المجتمع بانتشار فضيع للجهل والأمية وهذا بشهادة الفرنسيين أنفسهم: لقد أصبح من الصعب إيجاد معلمين ومدرسين لأبناء الأهالي ورجال الدين للقيام بشؤونهم المختلفة. فبعد عشرين سنة من المصادرة لأموال الزوايا وتهدم العديد من المدارس وهروب المعلمين انخفض عدد التلاميذ في المدارس الى النصف كما يقول تقرير المكاتب العربية بين 1845-1849 (20)، ونفس هذه المصادر تدين نفسها بشهادتها بأنه عشية الدخول الفرنسي كان 40% من السكان المذكور يعرفون القراءة والكتابة. فكل قبيلة وكل حي مدني له مدرسته ونفس التقرير يقدر عدد التلاميذ الذين يتابعون نظاما تعليميا ثانويا كان بين ألفي (2000) وثلاثة آلاف (3000) تلميذ لكل مقاطعة، أما الذين يتابعون دراسات عليا في القانون والشرعية فقدّر بـ ستمائة (600) الى ثمانمائة (800) تلميذ (21).

ونفس المصادر تعترف انه نتيجة سياسة التجهيل والتدمير التي انتهجتها سلطات الاستعمار أدت بعد عشرين عاما (20) الى انهيار النظام التعليمي التقليدي وتهدمه كليا بحيث أصبح مستحيلا إيجاد قضاة ورجال دين ضروريين لحياة القبائل والمدن (22).

وفي تقرير آخر اعد ما بين 1850 و 1861 جاء فيه: "انه في منطقة سعيدة أصبحت وضعية القبائل هناك مقلقة للغاية، فقد ارتقت في ظلمات قاتمة، رغم كل مجهوداتنا لم نتمكن من إيجاد ما يكفي من المدرسين لوضع على الأقل واحد لكل قسم" واحد علامات انهيار التعليم هو فقدان المعلمين ومعظمهم فقراء بائسين، وأكثرهم يعرف بالكاد يكتب ويقرأ، أهم بضعة شيوخ حيث الجهل لا يساويه إلا الفقر المدقع (23).

هذه هي إذا مهمة فرنسا التمدينية، وهذا هو عمل فرنسا حاملة شعار (أخوة - عدالة - مساواة)، إن المستوى التعليمي والحضاري والتربوي كان مقبولا إن لم يكن مرتفعا في الجزائر عشية الاحتلال أما الطرق التربوية المستعملة في تأديب التلاميذ فكانت ذات مستوى مرتفع كما يشهد عليه احد الفرنسيين وهو السيد روزي في كتاب له بعنوان: رحلة الى ايلة الجزائر، يقوا فيه: "كل مسلمي الجزائر هم أكثر تعليما. كان يوجد مائة مدرسة عامة وخاصة في الجزائر العاصمة قبل دخولنا..". ويضيف قائلا: "رأيتهم يادبون من طرف المعلم لكن لم يعاملوا بسوء أبدا كما نفعل نحن في مدارس قرانا الفرنسية، هكذا كان حال هؤلاء الجزائريين الذين يقدمون لنا كبربرة ومتوحشين جئنا لتمدينهم، هكذا كانت الجزائر عشية الغزو الفرنسي (24).

وبعد حوالي عشرين سنة من سياسة التجهيل والتقتيل والتشريد ومطاردة العلماء ومن اجل تحقيق أهدافها وضعت السلطات الفرنسية وبقرار من الجنرال كافينياك قواعد وأسس النظام التعليمي في الجزائر بافتتاحها بضعة مدارس في المدن الكبرى وعلى الخصوص العاصمة ووهران وقسنطينة وما يلاحظ على هذا النظام انه كان فيه تمييزا فاضحا وواضحا من جميع الجوانب ما بين التعليم الأوروبي والإسلامي فالأول أي التعليم الأوروبي يتبع مباشرة وزارة التعليم العمومي أما التعليم الإسلامي فكان من اختصاص الحاكم العام (25).

أما الغرض من إنشاء هذه المدارس فكان من اجل توفير إطارات تساعدنا في أداء مهامها المختلفة وتنفيذ مخططاتها الهادفة الى فرنسة وتسيخ المجتمع، وتكون هذه الإطارات واسطة للترجمة والتعامل بينها وبين الأهالي، ومساعدتها في فهم عقلية الأهالي ومعرفة احتياجاتهم في مختلف مناحي الحياة وبالتالي السيطرة على الوضع من خلال تحكمها في هؤلاء الأهالي.

وهو ما يوضحه تقرير أنجزه سولفات Solvet بطلب من مكتب إدارة مدرسة الجزائر سنة 1864 يقول فيه: "إمداد الإدارة بمتربين ومساعدين مهرة متعلمين بما فيه الكفاية لمساعدتها في نظرتها وتسييرها للشؤون الإدارية والتطور، والحضارة وفيما بعد الاندماج إذا كان ممكنا بالنسبة للأهالي" (26).

أما في المرحلة الثانية فقد واصل الغزاة الفرنسيون سياسة الاستعمار بشكل اعنف ليمس ما بقي قائما من الجوانب الثقافية والتشريعية والقضائية على الخصوص

في محاولة منهم لمحو كل ما له علاقة بالدين الإسلامي من خلال العمل على استبدال القضاء الإسلامي بالقانون المدني الفرنسي اللائكي⁽²⁷⁾، ولتحقيق هذا الهدف واصل الفرنسيون سياسة تطبيق كل القوانين على مختلف المستويات من سياسية وإدارية وقضائية، وفي نفس الوقت واصلوا محاربة وتهدم وغلق ما تبقى من مؤسسات دينية ومدارس قرآنية، وإخضاع ما تبقى منها للمراقبة باسم الاندماج واللائكية.

وهكذا شهدت الفترة الممتدة ما بين 1870-1890 حربا شعواء على المحاكم الإسلامية التي انخفض عددها من 184 الى 61 محكمة سنة 1890.

وفي هذا يقول الأميرال قيدون: "إن القضاء الإسلامي يجب أن يزول أمام القضاء الفرنسي"⁽²⁸⁾.

ومن اجل إخضاع الجزائريين وتركيعهم ومحو شخصيتهم وتحت ستار نشر الحضارة ونقل المدنية أقدم الفرنسيون على فرض سياسة الاندماج بالقوة بإصدار مجموعة من القوانين منها قانون الأهالي في عام 1881، لكن الهدف الحقيقي كان محو وإزالة كل السمات المميزة للمجتمع الأهلي، ورغم ان سياسة الاندماج هذه قد انتصرت بشكل واسع في كل الميادين من 1870 الى 1898 ومع ذلك لم تكن مسألة اعتبار المسلمين كفرنسيين، بل بالعكس فإنها كانت سياسة الإخضاع فقط، كما يعترف بذلك اجيرون⁽²⁹⁾.

إن شعار نقل المدنية ونشر العلم بين صفوف الأهالي في الواقع لم يكن إلا في أذهان أصحابه، فالواقع يكذب ذلك وبالأرقام وها هو احدهم يقول عن ذلك: ما قمنا به كان قليلا جدا من اجل تعليمهم. في سنة 1880 وحسب لوروي بوليو فان ميزانية الاستعمار (الاستعمار) من إجمالي مبلغ 27 أو 28 مليون لم تخصص إلا أربعة وسبعين ألف (74000) فرنكا لتعليم الأهالي⁽³⁰⁾، مما انعكس سلبا على عدد المدارس المشغلة التي انخفض عددها في عام 1882 الى ستة عشر⁽¹⁶⁾ مدرسة ابتدائية بعدما كان عددها ستة وثلاثين⁽³⁶⁾ مدرسة ومتوسطتين عام 1870 تضم ألف وثلاثمائة (1300) ممتدرس.

اما المبررات التي قدمها المستوطنون من خلال ممثليهم في المجالس البلدية فهي ان العملية مكلفة من حيث الأموال والامكانيات المادية الأخرى، إلى جانبها تجربة خطيرة فحسب هؤلاء اذا تعمم التعليم فان الصرخة الموحدة للأهالي ستكون: الجزائر

للغرب⁽³¹⁾. وعقب فشل ثورات 1864 و 1871 و 1881 عمدت سلطات الاحتلال إلى إجراءات وقوانين تعسفية في حق الأهالي لتفكيك وتفتيت البنية الاجتماعية الاقتصادية بتجريدتهم من ممتلكاتهم العقارية وتفتيتها وتضييق الخناق عليهم من خلال نفي البعض منهم وتهجير البعض الآخر وفرض غرامات مالية لإجبارهم على الخضوع والخنوع بإصدارها مجموعة قوانين عقارية عامي 1873 و 1887 إضافة إلى القوانين الزجرية للأهالي في عام 1881 وما رافقها من إجراءات أخرى و على الخصوص زيادة الضرائب العربية و توسيعها. الى جانب هذه الإجراءات واصلت سلطات الاحتلال سياستها من اجل فرنسا⁽³²⁾ وتمسيخ المجتمع الجزائري بإصدار مرسوم جول فيري لعام 1883 القاضي بمجانبة التعليم ولائكيته وصفته الإلزامية و هذا على حساب التعليم الإسلامي و المؤسسات الإسلامية⁽³³⁾ المنتجة للمتعلمين⁽³⁴⁾. إن السياسات و الإجراءات الفرنسية المطبقة تحت ستار وغطاء الاندماج كانت لها نتائج وخيمة على المجتمع الجزائري بحيث فككت بنيته الاجتماعية الاقتصادية و قضت على آخر معاقل المقاومة الثقافية الدينية. لقد حطمت الأرستقراطية الفلاحية و هاجرت برجوازية المدن. وعمقت بذلك الفرق بين المدة والريف، ووضعت بذلك اكبر عدد من الجزائريين تحت هيمنة المستوطنين (الكولون) ومكنتهم من التفوق على أصحاب البلاد. وهو ما تعترف به الباحثة كولونا بقولها: "إن السياسة والإجراءات التي اتخذها باريس في حق المجتمع الجزائري، والتي تقول أنها اندماجية لكنها في العمق تهمدية"⁽³⁵⁾.

إن الاستعمار الفرنسي الذي رفع شعار المهمة التمدينية التحضيرية (نشر الحضارة والمدنية) لم يكن إلا شعارا لذر الرماد في الأعين، ثم إن الاستعمار المعروف بسياسة البحث عن الثروات والاستغلال فانه كان مستعدا لاستخدام كل الوسائل حتى اللانسانية منها من اجل الوصول إلى الهدف. وعليه فان الإجراءات المطبقة في مختلف المجالات ومنها المجال التعليمي⁽³⁶⁾ كان هدفها إخضاع الجزائريين وتحويلهم إلى أدوات في يد الرأسماليين ومساعدتهم⁽³⁷⁾ أما ما حاولت باريس تدعي انه تعليم لتحضير وتمددين الجزائريين وإخراجهم من الجهل والتخلف لم يكن إلا وسيلة لإيجاد طبقة جزائريين دما ولحما وفرنسية روحا و لسانا يخدمون أسيادهم المعمرين وهو ما تفصح عنه الأرقام التي نشروها وتقول إن نسبة أبناء الأهالي المتدربين لم تتجاوز سنة 1889، وبعد ستة سنوات من مرسوم جول فيري القاضي بالإلزامية ومجانبة ولائكية التعليم، نسبة 02%⁽³⁸⁾. ثم إن المعمرين والرأسماليين يدركون جميعهم مخاطر نشر التعليم وتكاليفه ومصاريفه وهم الباحثون عن الربح بأسهل وأسرع وسيلة، فهم

يدركون أنهم بذلك يكونون أناسا ساخطين في أحسن الأحوال يغادرون مداشرهم وفي أسوأها يثورون على السيطرة الفرنسية⁽³⁹⁾.

وتطبيقا لاستراتيجية الاستعمار والرأسمالية الفرنسية آنذاك من اجل فرنسا وتغريب وتمسيخ المجتمع الجزائري، كانت الأرض وما يحويه باطنها فضاء ضروريا لتنفس وتنمية الاقتصاد الرأسمالي باعتبارها سوقا إضافية للاستهلاك وتصريف المنتجات ومصدرا للمواد الأولية وبالتالي هي مجالا واسعا لنقل القيم الاجتماعية وأنماط السلوك الفردي والجماعي الرأسمالي الغربي المسيحي وإحلالها محل القيم وأنماط السلوك المحلية وشرط لمضاعفة فرنسا لسلطتها وقوتها ونفوذها. وعليه فان الكنيسة الفرنسية وعلى لسان الكاردينال لافيغري لم تتردد في دعوة سكان الازراس واللورين في عام 1871 الى الالتحاق بالجزائر باعتبارها فرنسا الافريقية، بقوله: "ايها المسيحيون سكان الازراس واللورين التائهون في هذه اللحظة بشوارع فرنسا، سويسرا وبلجيكا، افرغوا منازلكم المحروقة، حقولكم المتلفة، فان الجزائر فرنسا الافريقية تفتح لكم ابوابها وتمد لكم اذرعها. هنا ستجدون لكم ولأطفالكم ولعائلاتكم أراضى أكثر شساعة وخصوبة من تلك التي تركتموها بين أيدي الغزاة المحتلين⁽⁴⁰⁾.

إن مهمة فرنسا التمديدية وواجب فرنسا (أخوة، عدالة، مساواة) تجاه سكان و شعوب فرنسا الأفريقية لم تكن موجودة إلا في عقول أصحابها و شعارات لذر الرماد في الأعين ولم تتعد حدود فرنسا الأوروبية. أما فرنسا الإفريقية فإنها كانت مرتعا للفقير والجهل والأمية والأمراض⁽⁴¹⁾ والعنصرية والاستبداد والقمع والاضطهاد⁽⁴²⁾ والتسلط والاستغلال بابشع أشكاله وصوره. وأكثر من ذلك فان مشاريع الاستعمار الفرنسي لطمس الهوية ومحو معالم الشخصية الجزائرية قائمة على قدم وساق فاغرقت بذلك الجزائريين في ظلمات الجهل والتخلف واطبطوط الفرنسية والتمسيخ و ساهمت في تعميق وتنمية التخلف، وبدأت مظاهر الفرنسية والتمسيخ تغزو المدن الكبرى على الخصوص، وكادت أن تندثر اللغة العربية وهذا بشهادة محمد فريد الذي زار الجزائر سنة 1901، وكتب عن ذلك يقول: "هجرت ربوع العلم وخربت دور الكتب وصارت الديار مرتعا للجهل والجهلاء وكادت تدرس معالم اللغة العربية الفصحى وتطرقت إلى اللغة العامية الكلمات الأجنبية⁽⁴⁴⁾، بل أصبحت اللغة الفرنسية هي لغة التخاطب في العواصم مثل وهران والجزائر وقسنطينة وعنابة وغيرها... أن حالة التعليم في القطر الجزائري سيئة جدا، ولو استمر الحال على هذا المنوال لحلت اللغة الفرنسية محل العربية في جميع المعاملات بل ربما لن تدرس العربية بالمرّة مع مضي

الزمن، فلا الحكومة تسعى في حفظها ولا تدع الاهالي يؤلفون الجمعيات لفتح المدارس»⁽⁴⁵⁾.

ان الفرنسيين يدعون ويتباحون في كل مرة بانهم جاؤوا لنشر الحضارة والعلم واخراج الشعب الجزائري من تخلفه و بربريته (وحشيته) وانهم يحملون مشروعا تمدينيا لم يعملوا في الحقيقة إلا على تجهيل الجزائريين وتعميق تخلفهم وطمس هويتهم وتمسيخهم واستغلال هذه البربرية لتحقيق أطماعهم ومآربهم وإذلالهم، أما المدارس القليلة التي اقاموها كانت اغلبها مخصصة لابناء الكولون (المستوطنين) وبعض ابناء الاهالي الذين دخلوا في خدمتهم⁽⁴⁶⁾، وهؤلاء الوكلاء لدى الحكومة (السلطات) الفرنسية لم يعرف الشعب الجزائري من أغليبيتهم إلا الاحتقار والإهانة والمعاملة السيئة والابتزاز، لأنهم لم يكونوا في المستوى من الجانب العلمي⁽⁴⁷⁾ ولا من الناحية الادارية والمسؤوليات المكلفين بها ولا حتى من الناحية الأخلاقية وهو ما كانت تتوخاه الادارة الاستدمارية وهو ما يعترف به ويشهد عليه الكسيس دي طوكوفيل بقوله: "وهؤلاء الوكلاء لدى الحكومة بدلا أن يوجهوا (يقادوا) حسب أحاسيس وشعور الرجال المتحضرين مع مبادئ (قواعد) فرنسية، وهو ما لم يكن أبدا في أي مكان، ويمكن اتقاننا بعض المرات اننا اقل تمدينا للإدارة الأهلية ودمنا لبربريتها أنماط وذكاء أوروبا"⁽⁴⁸⁾.

ان سياسة التجهيل والتمسيخ والاستغلال والاستبعاد التي انتهجتها سلطات الاستدمار الفرنسي تواصلت وبشكل فضيع وفاضح فبعد اكثر من ثلثي قرن من الغزو وبعد ربع قرن من اقرار مرسوم جول فيري المتعلق بالزامية التعليم المجاني ولائكيته لم تتجاوز نسبة المتعلمين 3.8% سنة 1908 و 4.5% عام 1920 وهذه الزيادة الطفيفة أملتتها احتياجات المستوطنين وسلطات الاحتلال بسبب ارتفاع الطلب في بعض الأعمال والاختصاصات التي لا يقبل بها الأوروبيون ولا يقبلون عليها وجاءت أيضا بعد أن ضمنت المدرسة الفرنسية لنفسها التفوق وفرضت نفسها على ارض الواقع و الذي لم يتأت إلا بعد أن تفكك وانهار المجتمع التقليدي وعلى الخصوص نظامه التعليمي وبعد إن حققت باريس انتصار على المستوطنين لان الجمهوريين آنذاك كانوا يطالبون بمدرسة شاملة وتمدينية؟ يريدون من خلالها تغيير الانسان اما المستوطنون⁽⁴⁹⁾ فكانوا يريدون تحضير يد عاملة. وحتى التعليم المهني لا يمكنه ان ياتي الا بعد التعليم الابتدائي الأولي كما يقول جون مير⁽⁵⁰⁾.

لقد فرضت اللغة الفرنسية سيطرتها فأصبحت لغة التعليم والتكوين في مختلف أطواره من الابتدائي الى الثانوي والجامعي والتكوين المهني وأصبحت الفرنسية لغة الإدارة والمعاملات اليومية المختلفة والاقتصاد وفي ظل اتساع المهوة والمكانة الاجتماعية بين الجزائريين المسلمين أنفسهم، أي بين الذين درسوا في المدرسة الفرنسية ويشغلون لدى الفرنسيين والذين يلقون تجاوبا من طرف الإدارة الفرنسية والذين درسوا في الزوايا التي ابقى عليها الاحتلال او درسوا في جامع القرويين أو الزيتونة والذين أغلقت في أوجههم كل منافذ التشغيل بما فيها فتح مدارس لتعليم اللغة العربية وتدرّس علوم الدين.

ورغم هذا كله فان سلطات الاحتلال لم تستجب للطلبات الكثيرة التي كان يتقدم بها الأهالي بصفتهن الشخصية او عن طريق ممثليهم في المجالس النيابية والمالية البلدية من اجل فتح ابواب المدارس الابتدائية أمام ابنائهم ولو على حسابهم وهو ما يعترف به موريس فيوليت بقوله: "ان الفرنسيين كانوا يرفضون اعطاء التعليم الابتدائي للاهالي ويعطونهم اياه بحسب عداد القطرات" (51).

وفي المرحلة الثالثة الممتدة من نهاية الحرب (الاوربية الاولى) (الاستدمارية الاولى) حاول الفرنسيون ادخال اكبر عدد من ابناء الجزائريين الذين خدموا ويخدمون السلطات الفرنسية وفتحت امامهم الابواب لدخول الثانويات والجامعات سواء في الجزائر او في فرنسا.

وفي ظل تنامي وتفشي مظاهر الحياة الاوربية في المدن الكبرى وفي ظل سيطرة اللغة الفرنسية فان التعليم العربي الحر ومدارس الحركة الاصلاحية كان هدفها الحفاظ على اللغة العربية التي هي في طريق الانقراض حسب احد صحافي جريدة النجاح لان المتخرجين من التعليم الاهلي لا يمكنهم ان يندمجوا في أي من وظائف ادارة الاحتلال التي أوجدت شعبتين: احدهما باللغة الفرنسية موجهة لتكوين اطارات متوسطة تضم مساعدي الصحة، معلمون، اطارات فلاحية، مساعدين تقنيين في مختلف التخصصات الاخرى والشعبة الاخرى مزدوجة اللغة (المدارس الرسمية) موجهة لتكوين رجال الدين والقضاة المعربين المعتمدة من طرف الادارة الاستدمارية.

وبذلك اغلقت الابواب امام خريجي الحركة الاصلاحية حتى لا تعرض مشروعاتها التغريبي التمسحي لاي تشويش او عرقلة وعن الاهداف المتوخاة من

تكوين هؤلاء وعلى الخصوص الشعب المتوسطة تقول فاني كولونا: "هذه الشعب المتوسطة تشكل اغلب النخب المتوسطة بين 1880-1940 منهم حوالي الف (1000) استاذ بالمدرسة العليا ببوزريعة " هؤلاء هم الوسطاء الضروريون بين السلطة الاستعمارية (الاستدمارية) و المجتمع المهيمن عليه. انهم يشغلون وظيفة تقنية لكن ايضا واسطة ثقافية وسياسية، في الواقع ان تكوين النخب الاهلية وعلى الخصوص النخب ذات المستوى المتوسط هي احدى الوظائف الرئيسية للمدرسة الاستعمارية (الاستدمارية) ... ويبقى ان هذه النخب هي ضرورية على الأقل لشكل الادارة الخاص بالنظام الاستعماري (الاستدماري) في الجزائر وأن إحدى مهام المدرسة هي اختيارهم وتكوينهم وحدها الإطارات المتوسطة الأهلية: معلمون، مترجمون، موظفوا قضاء، موظفوا الصحة هم ضروريين للادارة الاستعمارية (الاستدمارية) (52).

ان سياسة الاستدمار الفرنسي لم تكن تهدف من خلال ادخال التعليم الفرنسي اللائكي الا الى فرنسة وتمسيخ جزءا من الاهالي ليكونوا لها سندا في نشر لغتها وثقافتها وحضارتها اللائكية ويكونون الواسطة في نقلها الى بقية المجتمع عن طريق وجودهم في دواليب الادارة والتعليم والاقتصاد والاحتكاك اليومي والدائم بالاهالي لانهم اقرب اليهم من الاوروبي نفسه، ويمكنهم بحكم علاقات المصاهرة والزواج والاختلاط ومعاشرة الاهالي من خلال الحياة اليومية وفي مختلف المناسبات والاحتفالات من واج وختان وغيرها من نقل الكثير من القيم و الافكار والعادات والتقاليد الاوروبية الى هؤلاء. وهو ما توضحه فاني كولونا بقولها: "...ولكن اكثر من هذا ترى الادارة انه ليس من واجبها تكوين موظفين مأمورين لكن أيضا تفكر في إمكانية التأثير على المجتمع المهيمن عليه بواسطة هؤلاء الوكلاء (العملاء) (53).

إن سياسة نشر التعليم من اجل الفرنسة والتمسيخ والتأثير على المجتمع الأهلي بواسطة هؤلاء الاهالي الممسوخين والمنتشرين في مختلف دواليب الادارة ومختلف المراكز الاقتصادية وحتى الثكنات العسكرية وغيرها يوضحها بولار بقوله: "لكن اذ لا يمكننا تدمير المساجد ولا الغاء في الحين قانون الاحوال الشخصية الاسلامي، ولا فرض بالقوة اللغة الفرنسية على الاربعة ملايين رعية، فنحن مجبرون ان نترك لهم رجال الدين (ائمة) قضاة وعلماء يتصرفون نيابة عن مرشديهم لتحويل شيئا فشيئا المجتمع المسلم و مع الوقت توجيهه نحو لغتنا، نحو قضائنا نحو عاداتنا وايضا خيارنا الدينية والفلسفية (54). ان المدرسة كانت كما دعى اليه الكثير من الكتاب والمربين الفرنسيين احدى اهم الوسائل لنقل القيم الأوروبية والتأثير على العقول وفرنستها ونحو خصائص ومميزات الشخصية العربية الإسلامية وهو ما يؤكد مدير مدرسة

بوزريعة لتلاميذه القدامى بقوله: "ليست مدرسة الأهالي مجرد إطار اللغة والتخاطب بالفرنسية بل هي مجال للتأثير على العقول و العمل قدر الامكان على تحررها ومساعدتها على التمثل العقلاني للثقافة الأوروبية" (55).

إن السياسة التعليمية لسلطات الاحتلال في العشرينيات والثلاثينات والزيادة الطفيفة التي عرفتتها نسبة المتدرسين لم تكن الا لتتماشى مع المستجدات المحلية والدولية اقتصاديا واجتماعيا ومن اجل ذر الرماد في الاعين. فمع تزايد درجة الوعي ونشاط الاحزاب والموجات التحررية والمؤتمرات المناهضة للاستعمار والمطالبة بحق التعليم ومع التطور التكنولوجي وزيادة حاجياتها الى اليد العاملة المتعلمة والمؤهلة هي التي اجبرتها على الزيادة في عدد المدارس والثانويات في نفس الوقت توسيع طبقة المتفرنسين المسوخين وزيادة عدد خدامها ووكلائها وهو ما تبرزه الأرقام والاحصائيات التي تقول ان نسبة المتدرسين بلغت سنة 1929 06% وبالارقام كان عددهم 60644 طفل من مجموع 0.9 مليون طفل في سن التمدرس (56).

وعشية الاحتفال بالذكرى المئوية للغزو والاحتلال الفرنسي للجزائر كثفت اسواق الدعاية الفرنسية من نشاطها من خلال اصدار مجلات وكتب ونشریات تنظيم معارض مختلفة وإصدار مجموعة من الدراسات والكتب في مختلف المجالات سميت: "بالمجموعة المئوية"، تتفاخر بانها بذلت مجهودات كبيرة لتعليم الاهالي ونقل الحضارة والمدنية اليهم، وهذه الدعاية في الحقيقة لم تخرج عن اطار ذر الرماد في الاعين فها هي حصيلتهم خلال قرن تقول: أن نسبة التعليم التحضيري أي ما قبل المدرسي، روضات الأطفال فمن مجموع سبعة عشر الف (17000) طفل دخلوا روضات الاطفال نجد عدد أطفال الأهالي لا يتجاوز الفان ومئتي (2200) طفل منهم 1400 طفل ذكر و 800 بنت نسبتهم تمثل 13% فقط سنة 1926 اما التعليم الابتدائي فلم يتجاوز عددهم سنة 1926 46000 طفل منهم 2700 بنت .

أما التعليم الثانوي فكانت الحصيلة اضعف بكثير فعدد الثانويات كان إحدى عشر (11) ثانوية تضم سبعة آلاف أوروبي 7000 أوروبي ومائة وتسع و خمسين (159) من ابناء الاهالي أي نسبة 02.27% فقط (57).

إن هذه الحصيلة المذكورة من أعداد الأطفال والتلاميذ والطلبة هم من ابناء خدام فرنسا الذين كانت فرنسا تحضرهم وتعددهم لنشر أفكارها ولغتها وقضائها ومدنيتها وليخلفوا آبائهم في المناصب التي كانوا فيها.

ثم إن هؤلاء يتبححون بالعدالة والمساواة والأخوة⁽⁵⁸⁾ والتحضر وهم الذين قسموا المدارس الى صنفين: صنف (أ) وهي المدارس المجهزة أحسن تجهيز ويختار لها أحسن المعلمين وبرامجها التعليمية هي نفس برامج المتروبول (أو فرنسا الأوروبية) وهي خاصة بأبناء المعمرين المستوطنين الفرنسيين وعدد محدود جدا من أبناء الأهالي (المسلمين) الذين تربطهم علاقة بالأوروبيين أما بحكم الوظيفة والخدمات التي يقدمونها لأسيادهم أو المتجنسين بالجنسية الفرنسية والمرتدين عن الإسلام، ومدارس الصنف (ب) وهي في معظمها في حالة سيئة وبرامجها المعدة وفقا للدارسين فيها ومكانتهم لدى الفرنسيين ؟ فكانت تسمى مدارس أكواخ (école Gourbis) وأين هي المساواة والعدالة عندما يفرقون في الشهادة المتوجهة لنهاية التعليم الابتدائي فهناك شهادة التعليم الابتدائي الأوروبية (C.E.P.E) والتي تؤهل صاحبها للدخول إلى الثانوية، وشهادة التعليم الابتدائي الأهلية (C.E.P.I) التي لا تسمح لصاحبها بالدخول إلى الثانوية إلا باجتياز شهادة التعليم الأوروبية⁽⁵⁹⁾.

ومع نهاية الحرب الثانية (39-1945) أصبحت الإدارة الاستدمارية في حاجة ماسة الى مزيد الأيدي العاملة المؤهلة نظرا لتزايد مشاريعها المختلفة في الشمال منشآت وهياكل قاعدية ومصانع وفي الجنوب لاستغلال آبار البترول وعليه لجأت إلى الأهالي لتشغيلهم في الوظائف التي ينفر منها الأوروبيون، منها: مترجمون حيث لا يوجد عدد كاف من الأوروبيين يتقنون العربية ومستخدمون في الكتابة وغيرها من الأعمال الصعبة والأقل أجرا.

ثم لا ننسى أن الاستدمار التقليدي القائم على الاستيطان والاحتلال العسكري قد تزحزح وبدا يترك مكانة للاستدمار الجديد القائم على السيطرة والغزو الثقافي العلمي والهيمنة الاقتصادية المالية بواسطة أدوات ومؤسسات جديدة منها: صندوق النقد الدولي، وهذا كله يفسر ارتفاع نسبة المرتادين للمدارس والثانويات والجامعة من أبناء الأهالي التي بلغت عام 1944 08.8% أي حوالي 110000 طفل وبعد عشر سنوات وصلت إلى 14.6% أي ما مجموعه 302000 طفل⁽⁶⁰⁾، أما التعليم العالي الجامعي فقد ارتفع عدد الطلبة من 89 طالب عام 1940 الى 500 طالب عام 1954 بنسبة وصلت الى 10%⁽⁶¹⁾ ان هذا الارتفاع في نسبة المرتادين للمدارس والجامعة يندرج في إطار إرضاء عدد اكبر من أعيان الأهالي⁽⁶²⁾ المطالبين بذلك، وجاء أيضا بعد ان ضمنت المدرسة الفرنسية تفوقها على المدرسة الأهلية وأصبحت اللغة الفرنسية لغة الحياة اليومية للجزائر وفي جميع المجالات، وكذلك كمكافأة

للجزائريين (الأهالي) الذين قدموا ويقدمون خدمات لها، أو الذين لهم استعداد لتقديم الخدمات المطلوبة وايضا لتوسيع وزيادة شريحة المتأثرين بلغتها وثقافتها وحضارتها وعاداتها وتقاليدها.

ثم إن نشر التعليم باللغة الفرنسية في ظل انهيار التعليم العربي، يخدم فرنسا بحيث يزيد في عدد المتأثرين والمقلدين للفرنسيين، وينشر الإعجاب والرضا بالمستدمر والنظر اليه نظرة اجلال وتمجيد لغته و ثقافته وفي هذا يقول برنارد: "انه لمن الأهمية بمكان أن نبث في أذهان الأهالي فكرة رفيعة و نقية عن وطننا وذلك بتلقين التلاميذ دروسا عن عظمة فرنسا وجيشها وثروتها." (63).

ثم كما اشرنا إليه فان من أهداف نشر التعليم باللغة الفرنسية هو صهر هؤلاء الأهالي في البوتقة الفرنسية ومحاولة تبديل أحوالهم الشخصية وإخراجهم من دينهم وملتهم والتأثير الثقافي والحضاري عليهم وجعلهم واسطة لنقل ونشر اللغة والثقافة الفرنسية اللاتينية بين صفوف الأهالي وبالتالي العمل على طمس هوية المجتمع وتشويه شخصيته ومسحه وتعميق التبعية للحزب في كل المجالات، وهو احد أهداف الاستدمار يوضحه ماردي بقوله: "... اليوم نحن مقتنعين بان التعليم على الطريقة الأوروبية يشكل أحسن المهمات -حسبهم- كلما زدنا في التعليم، كلما أصبح قابلا وصالحا للاستعمال أكثر، وأكثر من ذلك نعجل هذا التقارب والاندماج للعقول والقلوب التي يجب أن تظهر كنهاية سامية للاستعمار الاستدمار" (64).

وفي هذا السياق أيضا نذكر أن زيادة عدد المتدربين من ابناء الاهالي منذ نهاية الحرب الاستدمارية الأوروبية الاولى (1914-1918) وعلى الخصوص منذ نهاية الحرب الامبريالية الثانية (1939-1945) كان هدفه ايجاد طبقة من الجزائريين دما ولحما وفرنسيين ثقافة وروحا تخدم الفرنسيين في مختلف مشاريعهم وسياساتهم وقادرين على استخلاصها ومواصلة سياستها عند رحيلهم، وهؤلاء الوكلاء (العملاء) كان لهم دور في مختلف المشاريع والسياسات المقدمة والمطروحة من الفرنسيين خلال الثلاثينات والاربعينات وخلال مرحلة الكفاح التحرري وهو ما تعترف به فاني كولونا بقولها: "ان من اهداف التعليم والمدرسة الفرنسية في الجزائر ايجاد طبقة واختيار وكلاء يوضعون تحت تصرف السلطات الاستعمارية، وهؤلاء كان لهم دورا مهما في السياسة الفرنسية في الجزائر وخاصة في الثلاثينات (مشروع بلوم فيوليت) وفي الاربعينات في فترة حكم شاتينو (دستور 1947) ثم في مختلف حلول الاستقلال

الذاتي المقترحة ما بين 1954-1962 ويبقى ان هذه النخب هي ضرورية على الاقل لشكل الادارة الخاص بالنظام الاستعماري في الجزائر وانه احدى مهام المدرسة هي اختيارهم و تكوينهم" (65).

ان السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر كان لا هم لها الا خدمة لغتها وثقافتها ومحاربة اللغة العربية وتهميشها، وابعاد الدين الاسلامي الحنيف عن الحياة الاجتماعية وابقاء الجزائريين في ظلمات الجهل والتخلف، وفي المقابل ايجاد طبقة من الاهالي ترعى مصالحها واستمرار وجودها لغويا وثقافيا واقتصاديا واوكلت لها مهمة ربط الجزائريين بالغرب وفرنسا على الخصوص لغة و ثقافة واقتصادا وصبغها بالصبغة الفرنسية، وجزء من هذه المهمة منجز بالفعل من خلال سيطرة اللغة الفرنسية على دواليب الادارة والمراسلات والإشهار والتعليم العالي وغيرها.

ان التأثير الثقافي الفرنسي على هؤلاء واضح جلي من خلال مخاطبة المجتمع بلغة عدو الامس والتنكر لقيمته و اخلاقه و ثقافته، وعن هذا التأثير يقول الرئيس الغيني السابق احمد سيكوتري: "وصل الاستعمار (الاستعمار) بهذه الطريقة الى التأثير على المثقفين الإفريقيين الذين يذهب بعضهم إلى حد الاعتقاد بان الوسيلة الوحيدة للحصول على العلوم الحديثة يتمثل في التنكر للقيم الخلقية والفكرية" (66).

وفي نفس السياق يقول احد الكتاب: "انه قد وصل الامر لان يفكر المغاربة الذين يتكلمون الفرنسية بفكر فرنسا ويستعملون منطقهم واسلوبه، وذلك لان الفكر واللغة شيء واحد كما يقول (موكس مولار) الذي يشبهها بقطعة النقد والذي يقول: "ان ما تسميه بالفكر ليس الا وجهها من وجهي النقد، والاخر هو الصوت المسموع." (67).

ان التأثير الذي احدثته المدرسة الفرنسية وصل الى درجة ان الكثير من الاهالي المثقفين تنكروا لتاريخ بلدهم وقيمته و اخلاقه وحتى وجود الامة الجزائرية فها هو احدهم يقول: "بان جيلنا فرنسي فكريا" واخر يقول: "اننا جميعا قبل كل شيء فرنسيون فوطننا هو فرنسا، والعلم الذي نعيش تحته هو العلم المثلث" (68). اما فرحات عباس فكتب يتنكر للوطن الجزائري و الأمة بقوله: "فرنسا هي أنا" (69).

ان ابناء المدرسة الفرنسية الذين وقفوا بالامس في وجه الإصلاح والمصلحين من رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وهاجموهم، هم الذين يعملون على

تسميخ المجتمع ونزع عنه الصبغة العربية الإسلامية من خلال تجميد قرار التعريب والتضييق على الدين والجمعيات الخيرية، وتحت ستار إصلاح التعليم عملوا على إدخال اللغة الفرنسية في السنة الثانية ابتدائي، وأيضا إدخال الكتابة من اليسار إلى اليمين في مختلف المواد علمية وأدبية ولغوية المكتوبة باللغة العربية، ويشجعونها في النشر والإشهار كما كان شأنهم في المعرض الأخير للكتاب المقام من 08 إلى 18 ديسمبر 2004. إن التعليم الفرنسي على الخصوص والاروري على العموم في إفريقيا لم يزد عن كونه أوجد طبقات متعلمة "متطورة" تنظر إلى مشاكل وحلول المجتمعات الإفريقية بالنظرة الفرنسية لا غير وهي طبقة تدافع عن الفرنسية أكثر من الفرنسيين أنفسهم، وهي طبقة ممسوخة قلبا وقالبا. وعن التعليم الفرنسي في إفريقيا والجزائر جزء منها، يقول احمد سيكوتوري رئيس غينيا: "ان التعليم الذي أعطونا إياه لم يكن يتجه فقط إلى تمثّلنا وإذابة شخصيتنا واضفاء الطابع الغربي علينا، والى ان يقدم لنا مدّيتنا، حضارتنا نظراتنا الخاصة الاجتماعية و الفلسفية باختصار انسانيتنا كتعبير عن الهمجية ومجرد بدائية نصف واعية، من اجل ان يخلق فينا المركبات المضاعفة التي تسعى بنا الى ان نصبح فرنسيين اكثر من الفرنسيين انفسهم، وانما يوجد الى جانب الظواهر في المجال الملموس لموقف هذه الصفوة المثقفة، سلسلة مزايا و ضمانات تعد امورا غريبة تماما عن حياة اغلبية الشعب الافريقي، وشكلت بالمقارنة بظروف الشعب الافريقي ظروف تفضيلية"⁽⁷⁰⁾.

ان ما ذكر احمد سيكوتوري عن تمتع وحصول هذه الصفوة المثقفة على سلسلة مزايا و ضمانات هو واقع معظم دول افريقيا التي ما تزال ترزح تحت نير التخلف والفقر والجحاعة والديون ومنها الجزائر. لقد تموقع هؤلاء وتسلبوا الى مختلف دواليب الإدارة بعد انسحاب الفرنسيين في جويلية 1962 وسعوا إلى تقليد أسيادهم في تسيير شؤون البلاد والعباد، فوقفوا في وجه عملية التعريب بشتى الوسائل وعملوا ويعملون على تحويل المجتمع الى مجتمع لائكي ومحاربة الاسلام من خلال منع نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومطاردة وسجن المعلمين والعلماء والدعاة وكل من خالفهم وبخالفهم الرأي، وأغلقوا الكثير من المدارس الدينية والزوايا وأخيرا بمنعون طلبة الشريعة من الترشح للقضاء.

وينشرون الفساد و الرشوة ويعملون على تفسيح وتسميخ الشباب من خلال المراقص والكازينوهات والمخامر، واكثر من ذلك انهم يدافعون وبدون حياء عن استيراد الخمور وامام نواب الشعب.

ومن جهة اخرى يعملون على تغيير وقلب مفاهيمهم ومصطلحات سارية منذ خمسة عشر قرنا على الاقل بتسمية "البنات العاهرات" بـ "الامهات العازبات" ويخصصون لهن منحة قدرها عشرة الاف دينار جزائري؟

ويحاولون تفكيك الاسرة الجزائرية من خلال مشروع "قانون الاسرة الجديد" وكل هذا تطبيقا لنصيحة أسيادهم وعلى رأسهم اليسوعي الفرنسي هنري لامانس (1862-1937) القائل: "ان السيطرة على أي منطقة من العالم لا تتم الا من خلال وقف مفعول الحضارة الداخلية لهذه المنطقة."

الموامش

- (01) لا يزال الفرنسيون يتربصون بالجزائر العربية الامازيغية المسلمة من اجل إعادة إلحاقها بالمجموعة الإفريقية الفرنسية والمنظمة الفرنكوفونية والعودة بها الى ما قبل 05 جويلية 1962 تحت ستارالتعاون الاقتصادي والثقافي والعلمي بالتواطؤ مع عملائهم ووكلائهم ومساعدتهم الاوفياء من المستغربين ومن ذوي الجنسية المزدوجة، ومن خلال المؤتمرات العلمية التي تغطي عليها اللغة الفرنسية حتى في الكثير منها الخاصة بالعلوم الانسانية الى جانب عرقلة وتعطيل وايقاف كل الجهود المبذولة لمواصلة التعريب ومن خلال مخاطبة هؤلاء الشريحة الكبرى في المجتمع باللغة الفرنسية في مختلف المستويات، ومن خلال التعليم بادخال اللغة الفرنسية في السنة الثانية من التعليم الابتدائي والاشهار باللغة الفرنسية ودعم الجرائد والبرامج والكتابة باللغة الفرنسية ومواصلة تدريس الكثير من التخصصات العلمية التي يمكن تدريسها باللغة العربية باللغة الفرنسية وحتى المراسلات التي من المفروض ان تكون باللغة العربية فقد اصبحت منذ سنوات قليلة باللغة الفرنسية الى جانب تواطؤ مسؤولي التلفزة في نقلهم للمباريات الأخيرة لنهائيات كأس امم افريقيا جانفي-فيفري 2004 باللغة الفرنسية... الخ.
- (02) د. يحيى بوعزيز: سياسة التسلط الاستعماري و الحركة الوطنية الجزائرية 1830 - 1954 ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ص ص 8-9 وانظر أيضا: د.ابو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية ج 1 1830 - 1900 الطبعة الأولى 1992، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ص ص 56-57-58.
- (03) من خلال نشر وتشجيع استهلاك الخمر باستيرادها وتشجيع العري ومحاربة السستر والعفاف، نذكر على سبيل المثال مقدمات ومذيعات البرامج التلفزيونية، مسابقات ملكة الجمال، وتشجيع تجارة الرقيق الأبيض وإطلاق اسم الأمهات العازبات على النساء العاهرات كما هو جار في الغرب.
- انظر كذلك الشروق اليومي العدد 1190 الاثنين 2004/09/27 ص1 بعنوان: ولد عباس يفجر 75 الف قبلة اخلاقية.
- (04) الفرد رامبو A.Rambeau: استاذ وسياسي فرنسي من مواليد عام 1842 تولى عدة مناصب ادارية وسياسية منها: رئيس ديوان جول فييري عام 1879: اشتغل استاذا بجامعة السربون عام 1881، عضو مجلس الشيوخ عام 1895، تولى وزارة التربية والفنون الجميلة عام 1896، من مؤلفاته: الفرنسيون على الرين عام 1873، تاريخ روسيا عام 1877، وفرنسا الاستعمارية عام 1886.

- Grand Larousse l'encyclopédique tome 09 librairie Larousse Paris 1964.
Fanny Colonna : instituteurs Algériens 1883-1939 presse de la fondation nationale des sciences politiques Paris 1975 p.40 (05)
- دي بورمون De Bourmont : قائد الحملة الفرنسية على الجزائر عام 1830 من مواليد عام 1773 تفية عام 1846. (06)
- Marcel Merl : l'anticolonialisme européennes de las casas à Marx (07)
- Armand colin Paris 1969 p. 275.
- صلاح العقاد: المغرب العربي، دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة: الجزائر تونس، المغرب الأقصى، القاهرة مكتبة الانجلو مصرية 1980 ص 117. (08)
- M .Mercl : Opcit pp 259-260 (09)
- و انظر ايضا: ابو العيد دودو: الجزائر في مؤلفات الرحالة الالمان 1855-1830 المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1989 ص 20 .
- A.Bordier : la colonisation Scientifique Paris 1884 p. 188 (10)
- نورد هنا شهادة لاحد السان سيمونيين (أتباع سان سيمون) بقوله: "... كان لي السبق لمشاهدة رؤوسا مقطوعة وأجساما بدون رؤوس، ورؤية جرحى وسماع المدفع وصفير الرصاصات...ها هو اذن ما ندعوه ايضا في عام 1840 نقل الحضارة الى البلدان. (11)
- M.Merl : Opcit pp 347-348
- و لمزيد من التفاصيل حول جرائم فرنسا يمكن مراجعة كتاب:
Amar BELKHODJA : Barbarie coloniale en Afrique, Edition ANEP
Alger 2002 chapitre Algerie pp 101-142
- حول إبادة قبيلة العوفية: انظر سعد الله: مرجع سابق ص 50. (12)
- وايضا ابو العيد دودو: مرجع سابق ص ص 19-20
- الكسيس دي طوكوفيل Alexis De Tocqueville: كاتب وقاضي وسياسي فرنسي من مواليد باريس عام 1805 توفي عام 1859، انتخب نائبا عام 1839، كان على راس وزارة الخارجية اثناء الحملة على روما عام 1849، من مؤلفاته الديمقراطية في الولايات المتحدة الامريكية في جزئين نشر الجزء الاول عام 1835 والجزء الثاني عام 1840، وايضا النظام القديم والثورة نشره عام 1856. (13)
- Grand Larousse Encyclopédie Tome 10 Paris 1964.
M.Merl : OP Cit P 260 (14)
- A.Bordier : OP Cit p 172 (15)
- كان لمارتين (1790-1869) من اشد المؤيدين لمواصلة الغزو و عدم التفريط في الجزائر للمزيد من التفاصيل، انظر خطابه في غرفة النواب 1 ماي 1834 في (16)
- M.Merle : OP Cit PP 262-263-264.
- ونفس الشيء بالنسبة لفكتور هيغو (1802-1885) الذي ساند سياسة بلاده في الجزائر بقوله: اعتقد ان فتحنا (غزونا) هو شيء سعيد وعظيم انها الحضارة التي تسحق البربرية، انه شعب متنور سيجد شعبا يعيش في الظلام، نحن اغريقيو العالم وعلينا ان ندير هذا العالم ... للمزيد من التفاصيل انظر: (17)
- M.Merle : IBID pp 267-268

- (18) دودو: مرجع سابق ص 13.
- (19) انور الجندي: الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا: القاهرة 1965 ص 132
- (20) Fanny Colonna : le système d'enseignement de l'Algérie coloniale
Archives européennes de sociologie Tome XIII 1972
numéros 02 Plon Paris 1972 p 201
- (21) IBID : p 201
- (22) IBID : p 201
- (23) IBID : p 203
- (24) Marcel Egretaud : La réalité de la nation Algérienne, Edition Sociale Paris
1961 p 45.
- (25) Victor Piquet : l'Algérie française un siècle de colonisation 1830-1930
Librairie Armand Colin Paris 1930 p 269
- (26) J. Desparmet : la réaction linguistique en Algérie Bulletin société de
géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord trente sixième
année 1er trimestre 1931 p 19.
- (27) ومن اجل هذا ادرج القانون المدني الفرنسي في المدارس بمختلف اصنافها واشكالها
وبرامجها وكانوا يختتمون به مختلف المواد المدرسة. وعلى الخصوص المدارس المسماة:
مدارس عربية -فرنسية للمزيد انظر:
- Manrice Poularde : l'enseignement pour les indigènes en Algérie
Alger 1910 p 73.
- (28) CH. Robert Ageron : Histoire de l'Algérie contemporaine 7e Edition 1980
P.U.F P P 61-62
- (29) IBID : p 61
- (30) Bordier : Op Cit p 190
- (31) CH. R Ageron : Op Cit pp 67-68
- (32) من بين الوسائل التي جربتها السلطات الفرنسية نشر اللغة الفرنسية وفرنسة المجتمع منح
علاوة للأهالي قدرها 300 فرنك للذين يثبتون معارف كافية في اللغة الفرنسية وهذا في
مرسوم 1883 المادة 30. للمزيد انظر: M.Poulard : Op Cit P P 103-104
- (33) لقد كان الفرنسيون يعتبرون التعليم الإسلامي العدو اللدود والأكثر خطورة عليهم و
على مستقبل وجودهم في الجزائر والعائق الأكبر أمام فرص سيطرتهم و نفوذهم و
لذلك تصدوا له بمختلف الوسائل ومنها التعليم بإدخال القانون المدني الفرنسي في جميع
البرامج. انظر في ذلك: M.Poulard : IBID P50
- اما اعوانهم ووكلائهم فيتبعون نفس السياسة من خلال البرامج التعليمية الجديدة بحذف
آيات الجهاد ومنع طلبة الشريعة من ولوج القضاء، ومنع المتحجبات من الظهور على
الشاشة وفي واجهة الإدارة العمومية وامام الكاميرا الى جانب وسائل الترغيب
الاخرى...الخ.
- (34) Colonna : Op Cit p 202
- (35) IBID : p 200
- (36) انظر : الجدول الملحق المتعلق بالبنية (التركيبية) التسلسلية للنظام التعليمي في الجزائر
المستعمرة.

(37) ان التعليم الفرنسي اللاتيني هذفه فرنسا واوربة وتمسيخ بعض الجزائريين لتسهيل السيطرة عليهم وجعلهم بياق ودمى تحركها كيفما تشاء، وجعلهم وسيلة للتأثير ونقل القيم الغربية الى باقي المجتمع وافساده، والعمل على اىصال هؤلاء الى السلطة الفعلية وتمكينهم منها ومؤازرتهم حتلى بعد خروجه من الجزائر وعن هذا الهدف يقول بولار: "وبايجاز المدرسة الاهلية ... انها خاصة "اداة للحكم ووسيلة للتأثير" انها تجعل كل واحد من رعايانا عضوا مفيدا للمستعمرة "مساعدوا وفياء" لفرنسا.

M.Poulard : Op Cit p 50

F.Colonna : instituteurs Algériennes p50

F.Colonna : le système d'enseignement p205

Raoul Girardet : l'idée coloniale en France de 1871 à 1962

Pluriel la table rond 1972 p 68.

(41) كانت فترة النصف الثاني من القرن التاسع عشر كارثية بالنسبة للأهالي من حيث تعدد

الأمراض والأوبئة والجماعات، في مقابل الإهمال الكلي للفرنسيين في المجال الصحي، ففي بلدية واد بسباس (Randou) جنوب عنابة توفي عام 1872 276 مسلم من مجموع 2953 وفي المقابل من مجموع 260 أوروبي سجل وفاة واحد(01)، فقط. وبالنسبة للوفيات مقابل الزيادات عرفت مقاطعة قسنطينة في عام 1873 تسجيل 174 مولود جديد مقابل 243 وفاة، وفي نفس الفترة سجل في وسط الأوروبيين 147 مولود جديد مقابل 115 وفاة. والفرنسيون انفسهم يقرون ذلك فالدكتور Vallin يقدر عدد المواليد الى الوفيات بـ 100 الى 123، اما ريكو فيقدرها بـ 100 الى 150.

A.Bordier OPCIT p 180

للمزيد انظر:

(42) نورد هنا قول بورديي: "من 1866 الى 1872 اضافة الى الجاعة والتيفوس والتمرد وعلى

الخصوص القمع والاضطهاد كلف الاهالي في ظرف ستة سنوات فقدان 527021 شخص الى ما يزيد عن نصف مليون شخص.

Bordier : IBID p 180

Girardet : Op Cit p 262

(43) ان ظاهرة اختلاط اللغة العربية بالعامية وعلى الخصوص الكلمات الاجنبية و بالتحديد

الفرنسية وحتى بالنسبة للامازيغية التي تحدث عنها محمد فريد مازالت الى حد اليوم وكانت موضوع دراسة لاحد الفرنسيين وهو ديسيرمت، حول تفاصيل الموضوع أنظر:

J.Desparmet : Op Cit p 11 et S

(44) أنور الجندي : مرجع سابق 133

(46) راجع في ذلك نداء الإمبراطور نابليون الثالث (1808-1873) اثر صدور المرسوم

الإمبراطوري في 14 مارس 1857 القاضي بتأسيس مدرسة عربية- فرنسية مخصصة لاستقبال الشباب المسلمين: إلى الاغوات والباش اغوات والقياد والشيوخ وكل الموظفين والأهالي في أن يرى أبناءهم يدخلون المدرسة الجديدة والامتيازات المقدمة لهم. للمزيد انظر:

M. Poulard : op cit p 78.

(47) وهو ما يعترف به الفرنسيون أنفسهم فأهداف المدرسة كما يقول بولار: " ففنتنا ليس العمل على ان يصبح هؤلاء الشباب الرعايا علماء ذو خيرة وإنما إعطائهم بعض المبادئ العلمية وأفكار عامة حول القانون الفرنسي. والمهدف بالطبع هو سلتخهم من عقيدتهم ودينهم ويثبتهم الاجتماعية.

انظر: Poulard : op cit pp 72/73

M.Merle : op cit p 260 (48)

(49) المستوطنون كانوا معارضين من خلال ممثليهم في البلديات بناء المزيد من المدارس لأبناء الأهالي. انظر في ذلك Victor Piquet : op cit p 309

F. Colonna : le système d'enseignement pp 199-206 (50)

Maurice Viollet : l'Algérie vivra- t-elle Alcan Paris 1931 p 258 (51)

F. Colonna : op cit pp 210-212 (52)

IBID : p 213 (53)

M.Poulard : op cit p 138 (54)

Ageron : op cit p 165 (55)

IBID : p 68 (56)

Victor Piquet : op cit pp 271-272 (57)

(58) حول من يدافعون عن هذا الشعار او يرددونه دون معرفة خلفياته وحقائقه وواقعه يمثلهم حول فيري (1832-1893) بقوله: ان الثورة الفرنسية لم يتم خوضها نيابة عن سود افريقيا، ولم تكن الحرية و المساواة والاخاء والبرجوازية من اجل الخاضعين للاستعمار (للاستعمار) وكان على الافارقة ان يصنعوا حراب بنادقهم واحداث تمردهم وقواربهم المسلحة.

والتر رودني: "اوروبا والتخلف في افريقيا ترجمة د.احمد القصير سلسلة عالم المعرفة العدد 132، ديسمبر (كانون الاول) 1988 المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ص 327.

F. Colonna : instituteurs p 15 et S (59) انظر في ذلك:

وايضا : Anne- Marie Louanchi : Salah Louanchi Parcours d'un Militant Algérien édition Dahlab p 15-16

وكذلك :

Mohamed El Kechai 60Années de lutte ou la longue marche d'un chef scout Musulman Volontaire du croissant rouge Imprimerie Aurassi Draa Benkhedda Tizi-Ouzou 1997 P11

Ageron : op cit p 83 (60)

F. Colonna : le système d'enseignement p 211 (61)

(62) هؤلاء الأعيان من قياد واغوات وباش اغوات، هم إقطاع جديد من اصل إداري خلفه الاستعمار (الاستعمار) حين تراجع عن حملات الابادة وقدموا خدمات كبرى له

وتعاونوا معه خلال حرب التحرير. أنظر:

سمير امين: المغرب العربي الحديث : ترجمة كميل ق داغر ط2 دار الحداثة مع ديوان
المطبوعات الجامعية الجزائر 1981 ص 131.

(63) أنور الجندي: مرجع سابق ص 33

(64) G.Hardy : nos grands problèmes coloniaux A Colin Paris 1929 p 74

(65) F. Colonna : instituteurs pp 77-79

(66) أنور الجندي: المرجع السابق ص 151

(67) نفسه: ص 152

(68) ابو القاسم سعد الله : المرجع السابق ص 61

(69) نفسه: ص 72

(70) جاك ووديس: جذور الثورة الافريقية، ترجمة احمد فؤاد بلبغ

الهيئة العامة المصرية للتأليف 1971 ص 403